المجلة العربية
لنشر الابحاث والعلوم

"المغالطات الحجاجية في تائية أبي إسحاق الإلبيري"

Sana Zakaria Almajaidah

sana_zm@hotmail.com

المجلة العربية
لنشر الابحاث والعلوم

ملخص البحث:

يستند هذا البحث إلى دراسة المغالطات الحجاجية ومدى تأثيرها في بنية الحجاج في "تائية أبي إسحق الألبيري"؛ حيث تعد واحدة من القصائد المشهورة في الأدب الأندلسي التي تشتمل كثيرا من الحكم، والمواعظ، والتذكير بالموت. وتدور مواضيعها حول مجموعة من النصائح والارشادات الأخلاقية والدينية التي يقدمها الشاعر لشخص يدعى أبا بكر حيث يحدثه عن ضياع العمر، والاقتراب من الموت، والانخداع بالدنيا، ومن خلال تحليل النص كشفت عديد من المغالطات الحجاجية التي تؤثر بصورة مغايرة في قوة الحجج المقدمة.

فالمغالطات يمكن أن تقود إلى تشويه الحقائق، وإثارة العواطف، والتعميم المبالغ فيه، بعيدا عن الحجج العقلانية، ومن خلال هذا البحث سيتم توضيح مدى تأثير هذه المغالطات في الجمهور، وتشويه الأفكار التي يناقشها الشاعر.

الكلمات المفتاحية: المغالطات الحجاجية، تائية أبي اسحق الألبيري

Argumentative Fallacies in the Ta’iyya of Abu Ishaq al-Ilbiri

:Abstract

This research examines argumentative fallacies and their impact on the structure of arguments in Abu Ishaq al-Ilbiri's "Ta’iyya," a poem focused on moral and religious guidance in Andalusian literature. Through text analysis, it reveals that the poet employed several fallacies, including distortion of facts, hasty generalization, illogical reliance on authority, and emotional appeals, which weaken the logical strength of the arguments despite evoking strong emotional responses. The study highlights how these fallacies distort the full understanding of the poet's message, leading to potentially inaccurate conclusions. It underscores the importance of recognizing these fallacies for critical and objective reading, promoting a more conscious and logical interpretation of literary tex

المقدمة

ازدهرت الأندلس في القرن الخامس الهجري من كل النواحي؛ ازدهارا ثقافيا ودينيا، فكانت الحياة العقلية عند الأندلسيين تعتمد في أفكارها على الكتاب والسنة، ويقبلون على العلم ويتقنون فنونه. ومع هذا التقدم إلا أنها واجهت تحديات سياسية، واجتماعية، مما أدى إلى ظهور حركات فكرية وأدبية مختلفة أثرت في كينونة المجتمع الاندلسي.

وفي ظل ذلك برز دور الشعراء والعلماء للدفاع عن القيم الدينية، والسعي إلى مواجهة هذه التحديات، وإصلاحها. وممن سطع اسمه في هذا الشأن الفقيه والشاعر أبو اسحق الألبيري، حيث عرف بزهده ودعوته إلى الانغماس بالدين والتوجه إلى الآخرة بعيدا عن ملذات الدنيا الزائلة. ودعا لذلك من خلال قصيدته التي اشتهرت بتائية الألبيري، حيث تعد رسالة توعوية إصلاحية حملت في ثناياها حكما ومواعظ للوعي في المجتمع، فدعت إلى الابتعاد عن غرور الدنيا، والعودة إلى قيمنا الإسلامية والدين الحنيف، فلم تقتصر هذه على أنها عمل أدبي أو مجرد أبيات شعرية؛ بل كانت معنونة بالمفاهيم الدينية وقدرتها على الجمع بين التعبير الشعري والرسائل الواعظة لإقناع المخاطبين بالتقوى والتوبة إلى الله، مما جعلها تحظى بمكانة مرموقة في الأدب الأندلسي وبرزت من أشهر القصائد. ومع ذلك لم تكن بعيدة من استخدام بعض المغالطات لتحقيق هذا الهدف.

ونظرا لذلك هدفت هذه الدراسة إلى تحليل المغالطات الحجاجية التي احتوتها تائية الالبيري، وتقييمها وتوضيح مدى تأثيرها في قوة الحجة في توصيل الرسائل الإصلاحية التي تضمنتها، ولهذا سيتم تحليل أبيات القصيدة، والكشف عن أبعادها الدينية والسياسية، وكيفية استخدامه للحجج في نص القصيدة، ومدى تأثيرها في القارئ، واستنادا لذلك، تعنونت هذه الدراسة بـ" المغالطات الحجاجية في تائية أبي إسحق الألبيري" حتى توضح القصد من هذا العمل الفريد ودوره في الأدب الاسلامي.

لقد دخلت حركة التجديد إلى الشعر الاندلسي بمرور الوقت بعد الاستقرار السياسي والاجتماعي في البلاد وتمركز الحكم فيها واحساس الشعراء بالبيئة الجديدة وانعكاس ذلك في أشعارهم رقة وعذوبة ولطفا، وابتعدوا عن البداوة التي كانوا عليها الى شعر محدث جديد، وكان للطبيعة ومشاهدها الجميلة الحضور العظيم في الشعر الاندلسي، فتبدلت الطبيعة الصحراوية الجافة بطبيعة خصبة خضراء قد افاض الله عليها كل نعم الحياة والجمال فكانت تسر الناظرين وتسعد القلوب وتبهج النفوس.[1]

تعد الدعوة إلى التحلي بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة مبدأ جوهرياً من مبادئ الإسلام وتعاليمه، فقد أحاط الإسلام المجتمع بمنظومة من القيم الخلقية، ووضع للأخلاق قواعد يتم على أساسها تربية النفس وتهذيبها منها: القناعة والتوكل على الله والصبر والتقوى التزام الصدق والوفاء والحياء والسخاء، كما أنه ذم النقائص الخلقية التي ينزلق إليها ذوو النفوس الضعيفة مثل: الحسد والتكالب على موارد الرزق والإقبال على الدنيا والكبر والحقد والجبن والكذب وسوء الظن بالنفس وبالغير.

وكان لازدهار الزهد في المشرق الإسلامي صداه الواضح وأثره البين في المغرب والأندلس، فقد عرفت نزعة الزهد طريقها إلى بلاد الأندلس في وقت غير بعيد عن ظهورها في بلاد المشرق ثم المغرب كاشفة بذلك عن التقارب بين مجريات الأمور بين المشرق والأندلس عبر التاريخ، " ويمكننا أن نرجع ظهور نزعة الزهد في بلاد الأندلس إلى عوامل مشابهة لتلك العوامل التي أدت إلى ظهورها في بلاد المغرب فإذا كانت ساحة المشرق الإسلامي قد تردد صداها في المغرب الإسلامي فقد كانت العدوة الأندلسية لا تقل في ذلك عن العدوة المغربية، وإنما كان الارتباط بينهما قويًا حتى كأنهما أشبه بدفتي كتاب واحد يكتمل ما في واحدة منهما بما في الأخرى، ومن ثم كان لنزعة الزهد في المشرق الإسلامي صداها في كل من بلاد المغرب وبلاد الأندلس على السواء، وكانت العوامل المسببة لظهورها على كل من العدوتين متشابهة أحياناً ومتماثلة أحياناً أخرى.[2]

[1] د. محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، ط1، 2000م، ص112.

ISSN:2518-5719 @ arsjournals.com ✉ arsjournals.com

تسعى هذه الدراسة إلى بيان وتوضيح كيف للمغالطات أن تشوه فهم النص وتضليل المتلقي، ولذلك فإن إشكالية الدراسة تتعلق بالتحليل النقدي للقصيدة، وتوضيح تأثير المغالطات في فهم القارئ للكلمات المكتوبة، من غير القدرة على فهم المغزى العام لما كتب، وبالتالي ستجيب هذه الدراسة عن سؤال كيف تؤثر المغالطات الحجاجية في فعالية الحجاج في تائية الألبيري؟ وما تأثيرها في القارئ في التمييز بين الحقائق والمغالطات؟

منهج الدراسة

اعتمدت الباحثة في دراستها المنهج التحليلي النقدي؛ حيث يقوم هذا المنهج على تحليل النص من خلال تحديد واستخراج المغالطات الموجودة في القصيدة، ونقدها وتقييم تأثيرها في بنية الحجاج وقوة الحجج المقدمة فيها.

واستنادا لما ذكر في إطار النص؛ سيُدرس بدقة لتحديد الأنواع المختلفة من المغالطات الحجاجية، وتحلّل كيفية تفاعلها مع عناصر النص الأخرى، وكيف استخدمها الشاعر لتحقيق أهدافة الأدبية والدينية.

ومما يميز هذا المنهج؛ أنه يتيح فهما أعمق للنص من خلال كشف التناقضات والمنطق غير السليم للحجاج، حيث يقدم قراءة نقدية موضوعية وميسرة للقصيدة.[3]

وجاءت الدراسة في مقدمة وفصلين: الفصل الأول وهو: حياة الشاعر الألبيري والتعريف بتائيته، والفصل الثاني وهو: المغالطات الحجاجية في تائية أبي إسحق الألبيري.

وأنهت الباحثة دراستها بالخاتمة وملخص بعض ما جاءت به الدراسة وتوضيح نتائجها.

تعريف المغالطات الحجاجية

جاء في لسان العرب لابن منظور تعريف المغالطات بقوله: الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به، ما يغالط به من المسائل... وقد غالطه مغالطة[4]، هذا التعريف يشير إلى استخدام الكلام بطريقة تحدث لبسًا أو خديعة في الفهم.

يمكننا أن نجد مثالا على المغالطة الحجاجية في قوله تعالى: (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام) (البقرة: 204)، في هذه الآية، يتم التحذير من أولئك الذين يستخدمون الكلام الحسن في الظاهر لخداع الناس، بينما في باطنهم يكونون ألد الخصام، وهذه مغالطة تعرف بـ "مغالطة الشخصنة" حيث يظهر الشخص بمظهر طيب ليخفي نيته السيئة.

وإجرائياً: هي استخدام لبعض الأفكار المضللة في التبرير، وإثارة العواطف أثناء طرح قضية معينة، أو مناقشة موضوع ما؛ حيث تعتبر دراسة المغالطات جزءا مهما من النقد الأدبي والفلسفي، لأنها تساعد على كشف الخلل وتعزز فهما عميقا للنصوص، وتحليلها بشكل نقدي.

---

[3] أصداء دراسات أدبية نقدية : دراسة، د. عناد غزوان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م، ص90.

[4] [illegible].ت،

المغالطات الحجاجية: تحليلها وأنواعها:

في السياق العربي لا يختلف استعمال الحجاج (Argumentation) في الخطاب العربي البلاغي عن أصله اللغوي فالحجاج والاحتجاج، والجدل والمجادلة والمناظرة تستعمل مترادفات في اللغة والاصطلاح.[5]

يميز حازم القرطاجني في نظريته العامة حول التخييل والإقناع بين جهتين للكلام ما يحتمل الصدق والكذب كما يميز بين طريقتين للإقناع، وهما التمويهات والاستدراجات، وأما عن تمييزه بين ما يحتمل الصدق والكذب فقال: " لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال، وكان اعتماد الصناعة الخطابية في أقاويلها على تدعيم الظن وليس على إيقاع اليقين، ويجب أن تكون الأقاويل الخطبية – اقتصادية كانت أو احتجاجية – غير صادقة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأن ما يتقوم به وهو الاعتقاد الذي يكون منافي لليقين، وأن تكون الأقاويل الشعرية اقتصادية كانت أو استدلالية غير واقعة أبدًا في طرف واحد من النقيض اللذين هما الصدق والكذب، ولكن تقع تارة صادقة وتارة كاذبة؛ إذ ما تتقوم به الصناعة الشعرية وهو التخييل غير مناقض الواحد من الطرفين".[6]

فإن القضايا المسلّم بها أو الصادقة ليست بحاجة إلى الاحتجاج والاستدلال، ولكن يُعدل بها إلى التصديق، ويقع الحجاج على القضايا الكاذبة التي تكون في حاجة إلى تقوية الظن بها.

وأما عن تمييزه بين التمويهات والاستدراجات فقال:" إنما يصير القول الكاذب مقنعا وموهما أنه حق بتمويهات واستدراجات تعود إلى القول أو المقول له وتلك التمويهات والاستدراجات يمكن أن توجد في العديد من الناس بالطبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات التي يكون الناس فيها بحاجة إلى تدعيم الظنون في أمر ما أنه على غير ما هو عليه من خلال سماع تلك المخاطبات كثيرا والتدرب في احتدائها".

فإن التمويهات والاستدراجات من الأساليب الحجاجية الهامة التي تقوم بمساعدة المتكلم لإثبات صحة القضية المشكوك فيها، إلى جانب كون هاتين الوسيلتين التمويهات والاستدراجات تكتسبان عن طريق الخبرة والممارسة فتصبحان طبعا وحنكة لدى المتكلم أو الخطيب في تدعيم الظنون.[7]

فإن الحجاج عند حازم يقصد بها العمل على تدعيم الظنون والذي يتمثل في قدرة المتكلم على ذلك أو قصده من الكلام والقصد من التخييل والإقناع، أما قصد المتكلم: " لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمهما بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضا، على تحصيل المنافع، وإبعاد الأضرار، وإلى استفادتهم من حقائق الأمور وإفادتها، وينبغي أن يكون المتكلم يسعى إلى إما إفادة المخاطب أو إلى الاستفادة منه، وهذا من خلال أن يلقي إليه لفظا يدل المخاطب، إما على تأدية شيء من المتكلم إليه بالفعل، أو تأدية معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول، وإما أن يلقي إليه لفظا يدله على اقتضاء شيء منه إلى المتكلم بالفعل أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها وكان الشيء المؤدى بالقول لا يخلو من أن يكون بيتا فيقتصر به على الاقتصاص أو يكون مشتكلا فيؤدى على جهات من التفصيل والبيان والاستدلال عليه والاحتجاج له.[8]

---

[5] عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، بيروت، لبنان، دار الفرابي، 2007، ص10.

[6] أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، د.ت، ص62.

[7] أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص63.

[8] الأدباء

أنواع المغالطات الحجاجية:

ورأى هامبلين إن قدرة المنطق الصوري تقوم على تقديم معالجة تفسيرية للمغالطات، ويقسم المغالطات وفقا لذلك إلى ثلاثة أنواع مختلفة، هي:

- المغالطات الصورية:

وهي التي تخالف قواعد الاستدلال الاستنباطي لعيب في شكلها.

-المغالطات غير الصورية:

ونجد أنها عند أرسطو تقع خارج اللغة، ولا تعود المغالطة إلى قصور منطقي؛ وإنما تمثل النتيجة فيها إعادة المحتوى الموجود في المقدمات بمصطلحات أخرى، مثل: "إنه بريء، إذ إنه غير مذنب"، وهي صالحة في الشكل فقط.

-المغالطات اللغوية:

وقد صفها أرسطو بأنها غير مستقلة عن اللغة، مثل الإبهام كالعبارات التي تحتمل معنيين.

وإن المغالطات غير الصورية واللغوية لا تقوم بخالفة قواعد المنطق ومن هنا يرى هامبلن أنهما يتعلقان بالجدل.[10]

وتوجد هناك تقسيمات عديدة للمغالطات، ومنها تقسيم موريس إنجل، فقام بالتفريق بين ثلاثة أنواع من المغالطات غير الصورية، وهذا من خلال مقابلتها بمغالطات صورية، هي:[11]

- المغالطات المهمة وهي التي تتعلق بوضوح الحجة.
-مغالطات القرينة وتتعلق بما هو مدعى به في الحجة.
- مغالطات المواءمة وتتعلق بصلاحية الاستدلال المتبع في الحجة.

الفصل الأول: حياة الشاعر الإلبيري والتعريف بالتائية

نبذة عن حياة الشاعر أبي إسحاق الإلبيري:

اسمه ونسبه: هو إبراهيم بن مسعود بن سعد التجيبي يعرف بالإلبيري وكان يكنى بأبي إسحاق[12]، ولد أبو إسحاق الإلبيري في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الهجري في مدينة البيرة[13]، وقيل في عام (375 هـ)[14]

---

9 أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص20.

10 فيليب بروتون، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص77.

11 فيليب بروتون، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص78.

12 محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي، مصر، والمثنى، بغداد، 1965م، ص: 136

13 عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن 2001، ص : 21

14 ينظر: أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي، ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، تحقيق وشرح واستدراك : د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ، ط1، 1411-1991، ص : 8

وقد نشأ الإلبيري في حصن العقاب من اسرة عربيه ننتمي إلى قبيله بجيب المشهوره، ومن ثم انتقل إلى مدينة إلبيرة حيث اكتسب العلم والتقى بشيوخه وقد تزود منهم بالعلوم الشرعية وعرف بعلوم الفقه والقراءات القرآنية، وعاود الانتقال إلى مدينة غرناطة وهناك حظي بمكانة رفيعة بين الفقهاء وطلاب العلم، وقد تتلمذ على يدي أبرز الشيوخ والفقهاء ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله بن أبي زمنين[15]، وتوفي أبي إسحاق الإلبيري في حدود عام (460 هـ).[16]

التعريف بتائية الإلبيري:

"تائية الإلبيري"منظومة نظمها الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري رحمه الله، في سياق حادثة شخصية مع شخص يُدعى "أبا بكر"، كان أبو بكر قد انتقد الشاعر وذكر بعض المعايب عنه، مما دفعه إلى الرد بأسلوب فريد. بدلاً من التركيز على الدفاع عن نفسه أو مهاجمة خصمه، استغل الشاعر هذه الفرصة لبسط آرائه حول موضوعات جوهرية في الحياة مثل العلم، والتقوى، والتوبة، ونبذ الدنيا، والخضوع لله تعالى.

تندرج هذه القصيدة ضمن شعر الوعظ والحكمة، حيث تناولت موضوعات أخلاقية ودينية تهدف إلى تقديم العظة والإرشاد، وخاصة في فترة انحدار المجتمع الأندلسي. وتعدّ "التائية" واحدة من أشهر القصائد في الأدب الأندلسي، حيث تميزت بأسلوب بلاغي رفيع ولغة قوية، مما جعلها تتبوأ مكانة عالية في الأدب العربي، القصيدة تُعد نموذجًا للقصيدة التعليمية التي تسعى لتحقيق غايات تعليمية ونفسية، حيث يغلب عليها الطابع الإرشادي، مع تركيز خاص على توجيه المجتمع نحو قيم الإسلام وأخلاقه.

القصيدة لم تكن مجرد رد على انتقاد، بل كانت تأملًا في القيم الدينية والأخلاقية، ومحاولة لتجاوز النزاعات الشخصية من خلال تقديم نصائح تتعلق بالتوبة والتقوى ونبذ الدنيا.

والحقيقة التي لا يمكن أن نغفل عنها أن هذه التائية –مع ما فيها من مغالطات حجاجية– تعدّ جزءا من التراث الأدبي العربي، ولها دور في نقل حكمة وتجارب الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة، وذلك في قالب شعري يجمع بين الجمال الفني والقوة الفكرية.

وتكونت القصيدة من (115) بيتا شعريا، وتنوعت أفكارها على النحو الآتي:

– الأبيات (1– 5) التحذير من غفلة الإنسان وألا ينخدع بالحياة الدنيا والانجرار ورائها، بل يجب عليه العمل للآخرة من إقامة الفروض كالصلاة وقراءة القرآن، ووجوب طلب العلم.

– الأبيات (6–10) دعوة أبي بكر إلى طلب العلم والتزود منه.

– الأبيات (11–19) بيان أهمية العلم وتعظيم مكانته، وتشجيع العالم على تعليم طلاب العلم والتحذير من كتمان العلم.

– الأبيات (20– 27) التوصية بضرورة طلب العلم والتقرب من أهل العلم، وعدم الميل إلى الدنيا واللهو والأخذ بنصيحة الإلبيري، وعقد مقارنة بين ثمرات طلب العلم والجد والاجتهاد فيه وبين تركه والركون إلى الدنيا.

– الأبيات (28– 44) أن ارتفاع الإنسان يكون بالعلم وليس بالمال وامتلاك المباني، فالعلم أقوى من المال وأجل وأعظم منه.

– الأبيات (45– 54) الإعراض عن الدنيا وإهمالها والزهد فيها، فهي دنيا مخادعة تعطيك كل شيء، ثم تعود لتأخذه منك، فلا بد من الاستعداد لليوم الآخر ولقاء الله.

– الأبيات (55– 60) الجد في طلب العلم والقيام بالعبادات وإخلاص العبادة لله ولزوم الدعاء له وحده سبحانه وتعالى.

---

[15] ينظر : ديوان أبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، مصدر سابق ، ص 7– 8

[16] ينظر : [illegible] 137/1

– الأبيات (66- 69) يتحدث عن معاتبة الناصح للمنصوح، ومصاحبته لكبار العلماء ومجالستهم وأنه يجب عليه الاقتداء بهم في الصلاح والعبادة والعلم.

– الأبيات (70 – 81) دعوة أبي بكر إلى التوجه إلى الله والتوبة والإقبال على الله تعالى بالعبادة والعلم والصلاح والإصلاح والدعوة وتعليم الآخرين، وعدم التكلم بأعراض الآخرين، والابتعاد عن المعاصي التي تحبط الأعمال.

– الأبيات (82-87) الابتعاد عن الذنوب والخطايا والسعي لأن تكون في أعلى الدرجات، ويجب عليك النجاة من النار أي الاستعداد لليوم الآخر.

– الأبيات (88- 102) مخاطبة أبي بكر والاعتراف بالذنوب التي ارتكبها والإصرار على التوبة والعودة إلى الله تعالى، وعدم الرضا بهذه المعايب التي تسقط الشخص من أعين الناس، وتوضيح الفروق بين ارتكاب المعاصي والإصرار عليها وما يجني صاحبها في الدنيا، وبيان محاسن الطاعات وكيف أنها ترفع من شأن الإنسان وكيف أنه يجد الخير في كل مكان.

– الأبيات (102- 105) التحذير من الرفقة السيئة والتعامل معهم بحذر وحرص.

– الأبيات (106- 108) ترك المكان وهجره إذا كان مكانا لا يستطيع فيه التقرب من الله كبلاد الكفر، وإن لم يستطع فعليه الصبر والاحتساب عند الله.

– الأبيات (109- 112) الدعوة إلى الزهد في الدنيا والخروج منها بسلام.

الفصل الثاني: المغالطات الحجاجية في تائية الإلبيري:

تظهر أهمية تحليل المغالطات الحجاجية في النقد الأدبي من خلال تعزيز الفهم النقدي وتقييم الحجج المقدمة بشكل أكثر دقة. حيث كشف تحليل هذه المغالطات عن أبرز النقاط الضعيفة في النصوص، مما يتيح للنقاد تقديم نقد موضوعي يستند إلى أسس منطقية. وكما يمكن التعمق في فهم النصوص الأدبية ويظهر الأبعاد والعمق في الأبيات الشعرية من المعاني وكيفية تأثير الأخطاء المنطقية في الفهم العام، فبالنسبة للكتاب والشعراء، فإن فهم المغالطات الحجاجية يمكن أن يساعدهم في تجنب الوقوع فيها، وبالتالي تقديم حجج أقوى وأكثر إقناعًا في أعمالهم الأدبية، أما بالنسبة للقراء، فإن التحليل النقدي للمغالطات الحجاجية يعزز من مهارات التفكير النقدي، ويمكنهم من قراءة النصوص بشكل أكثر وعيًا وتفحصًا وإدراك ما تخفيه معاني الأبيات الشعرية.[17]

1. مغالطة الشخصنة (Ad Hominem)

مغالطة الشخصنة تحدث عندما يتم مهاجمة الشخص الذي يقدم الحجة وانتقاده بدلاً من مناقشة الحجة نفسها. في هذا السياق، لا تركز الحجة على الأفكار المطروحة، بل على انتقاد الشخص بناءً على صفاته الشخصية، وطبقته الاجتماعية، أو حتى مظهره الخارجي. لذلك فإن هذه المغالطة تضعف الحجة لأنها ستحول النقاش من مناقشة موضوعية إلى هجوم شخصي لا يسهم في تعزيز النقاش العقلاني.[18]

وعلى هذا؛ قد استخدم الشاعر مغالطة الشخصنة من خلال توجيه نقد مبطن إلى الشخص بشكل غير مباشر من خلال التلميح

---

17. طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط1، 1998، ص 226

أَراكَ تُحِبُّ عِرساً ذاتَ غدرٍ أَبَتَّ طَلاقَها الأَكياسُ بَتّا[19]

في هذا البيت، هاجم الشاعر الشخص الآخر بشكل شخصي بناءً على حبه للحياة الدنيا ووصفها بأنها "ذات غدر". بدلاً من تقديم حجج منطقية تشرح لماذا يُعد التعلق بالدنيا أمرًا غير حكيم أو مضلل، يقوم الشاعر بالهجوم الشخصي على هذا الشخص من خلال وصفه بأنه مُتعلق بشيءٍ يراه "الأكياس" (الحكماء) غير جدير بالتمسك به.

حيث ظهرت هنا مغالطة الشخصنة من خلال التقليل من الشخص بناءً على تفضيلاته الدنيوية: وأشار الشاعر إلى أن حب الشخص للدنيا هو أمر سلبي، مما يُعد هجومًا على الشخص ذاته بدلًا من مناقشة الموقف أو الحجة التي قد تُبرر هذا الحب للدنيا، وكذلك من خلال الاعتماد على رأي الآخرين (الأكياس) لإظهار أن الشخص المخاطب هنا مخطئ في تمسكه بالدنيا، والهدف من هذا الأسلوب هو إضعاف موقف الشخص وإقناعه بأن حبه للدنيا ليس حكيمًا.

فقام الإلبيري هنا بنقد "أبا بكر" في حبه للدنيا التي سمتها الغدر، فيزهد فيها من كان عاقلاً، وجاء اللفظ في البيت السابق كناية عن موصوف، وهو إخفاء الموصوف مع ذكر الدليل عليه ألا وهو (الدنيا)، فقد ذكر الإلبيري صفة الغدر بها وحب الإنسان وتعلقه بها، كما أنه ذكر أيضاً أن "الكيس" من طلق هذه العروس، ن الذكي أو الفطن هو من ينتبه لغدرها ويزهد فيها.

وذكر في بيت آخر حيث يقول الشاعر: إن الفضيلة ("الإحسان") يجب أن تكون واضحة في سلوك الشخص، ويرى أن الشخص يجب أن يظهر بمظهر الإحسان بدلاً من أن يُرى وهو يرتدي ثوب الإساءة:

فرأس العلم تقوى الله حقا وليس بأن يقال لقد رأستا

وَضافي ثَوبِكَ الإحسانُ لا أَن تُرى ثَوبَ الإساءَةِ قَد لَبِستا[20]

اعتمد الشاعر هنا على توجيه اللوم إلى الشخص بسبب أفعاله وسلوكه، وأشار إلى أن هذا الشخص قد يكون أظهر سلوكيات غير لائقة أو غير أخلاقية، واستخدم أسلوب الشخصنة من خلال الانتقاد الضمني للشخص بدلاً من مناقشة الموضوعات أو الأفكار المطروحة، ارتكز الشاعر على سلوك الفرد ليجعله يبدو وكأنه غير مستحق للاحترام أو التقدير بناءً على أفعاله، فقد حذره الإلبيري أنه إذا منّ الله عليه بذلك العلم أن يكون من الأشخاص الذين يصيبهم الغرور ويسعون إلى السيادة، فإن تقوى الله تعالى هي ما يجب عليه أن يرغب فيه وأن يتحلى به دائمًا.

وهو ما يمثل مغالطة شخصنة حيث يتم مهاجمة الشخص بدلاً من مناقشة الحجج أو الأفكار التي قد يقدمها، والتي كانت أن طلب العلم عبادة، ولكن في حال لم تكن تلك العبادة خالصة لوجه الله تعالى وشابها الرياء والكبر (مقدمة)، فلن تكون حجة لصاحبها بل تصبح حُجة تهلكه وتحط من قدره حتى يتساوى علمه مع جهله كـ(نتيجة) لذلك.

وفي أبيات أخرى اعتمد فيها الشاعر على مغالطة الشخصنة (Ad Hominem) بشكل واضح في رده على النصيحة المقدمة له، حيث يركز على مهاجمة الشخص الذي يقدم النصيحة بدلاً من مناقشة محتوى النصيحة أو تحليل الحجج التي يقدمها، وذلك عن طريق تسليط الضوء على تناقضات وسلوكيات المنصوح نفسه، يقول الشاعر:

وَقُل لي يا نَصيحُ لَأَنتَ أَولى بِنُصحِكَ لَو بِعَقلِكَ قَد نَظَرتا

تُقَطِّعُني عَلى التَفريطِ لَوماً وَبِالتَفريطِ دَهرَكَ قَد قَطَعتا

وَفي صِغَري تُخَوِّفُني المَنايا وَما تَجري بِبالِكَ حينَ شِختا

وَكُنتَ مَعَ الصِبا أَهدى سَبيلاً فَما لَكَ بَعدَ شَيبِكَ قَد نُكِستا

[19] الديوان، ص ٢٤

وَلَم أَشرَب حُمَيّاً أُمّ دَفرٍ وَأَنتَ شَرِبتَها حَتّى سَكِرتا
وَلَم أَحلُل بِوادٍ فيهِ ظُلمٌ وَأَنتَ حَلَلتَ فيهِ وَاِنهَمَلتا
وَلَم أَنشَأ بِعَصرٍ فيهِ نَفعٌ وَأَنتَ نَشَأتَ فيهِ وَما اِنتَفَعتا
وَقَد صاحَبتَ أَعلاماً كِباراً وَلَم أَرَكَ اِقتَدَيتَ بِمَن صَحِبتا[21]

وهنا يرى الإلبيري أن المنصوح أولى بتطبيق نصيحته على نفسه، مشيرًا إلى أنه لم يكن عقلانيًا في أفعاله، وينتقد الشاعر المنصوح على تفريطه في حياته، وتخويفه من الموت في صغره، بينما هو نفسه لم يستعد لذلك في شيخوخته، كما يشير إلى أن المنصوح كان أكثر استقامة في شبابه، ولكنه انحرف بعد تقدمه في العمر، يستمر الشاعر في مهاجمة المنصوح من خلال الإشارة إلى خطايا وأخطاء ارتكبها المنصوح، مثل شرب الخمر، ودخول أماكن الظلم، وفشله في الاستفادة من الصحبة الجيدة التي كانت له.

فقد وضح الإلبيري لماذا أبو بكر أولى بالنصيحة منه وكان التوضيح مفصلا منذ مرحلة الطفولة وفي صغري، إلى مرحلة الصبا وكنت مع الصبا أهدى سبيلا، ثم صحبة الشباب وقد صاحبت أعلاما كبارا، إلى مرحلة الشيخوخة ونهنهك المشيب، حيث زادت قوة حجته وبلغت الذروة بعد ذكره لآخر حجة وهي غفلة أبو بكر حتى في الشيخوخة، وأصبحت الحجة حجة دامغة لما تبعها من حجج تدعمها.

فإن هذه الأبيات كانت ردا على هجاء أبي بكر للألبيري، حيث نجد الإلبيري ينفي ما نسبه أبو بكر له وما دل على ذلك ضمير المتكلم ظاهرا في مواضع ومضمرا في أخرى مع النفي: أنا لم أخض بحر الخطايا، ولم أشرب حميا، ولم أحلل بواد فيه ظلك، ولم أنشأ بمصر فيه نفع، حيث قابلها بتأكيد صفات ذميمة لأبي بكر مستعملا ضمير المخاطب "أنت" (أنت أولى بنصحك)، وأنت شربتها، وأنت حللت فيه، أنت نشأت،، ومضمرا في قوله: لو بعقلك قد نظرت، تقطعني، دهرك قد قطعت، حين شخت، قد خضته، وما انتفعت.

أما في قسم آخر من التائية اعتمد الشاعر على مغالطة الشخصنة –أيضا– في مهاجمة الشخص الذي يوجه إليه اللوم أو النقد، حيث يبدأ الشاعر بالإشارة إلى أن الشخص الذي يلومه هو أحق بالتفنيد منه، مما يعني أن الشخص الذي يقدم النقد ليس في موقف يؤهله للقيام بذلك، ويركز الشاعر على مهاجمة شخصية الناقد بدلاً من التعامل مع محتوى النقد أو اللوم بموضوعية.

فَأَنتَ أَحَقُّ بِالتَفنيدِ مِنّي وَلو سَكَتَ المسيءُ لَما نَطَقتا
وَنَفسَكَ ذُمَّ لا تَذمُم سِواها بِعَيبٍ فَهِيَ أَجدَرُ مَن ذَمَمتا
فَلَو بَكَت الدَما عَيناكَ خَوفاً لِذَنبِكَ لَم أَقُل لَكَ قَد أَمِنتا[22]

في هذا المقطع، اعتمد الشاعر على مغالطة الشخصنة –أيضا– في مهاجمة الشخص الذي يوجه إليه اللوم أو النقد، حيث بدأ الشاعر بالإشارة إلى أن الشخص الذي يلومه هو أحق بالتفنيد منه، مما يعني أن الشخص الذي يقدم النقد ليس في موقف يؤهله للقيام بذلك، ويركز الشاعر على مهاجمة شخصية الناقد بدلاً من التعامل مع محتوى النقد أو اللوم بموضوعي.

يربط الشاعر بين هذه الأفكار لتوجيه هجوم شخصي على الناقد، ويجعل النقد يدور حول شخصيته وعيوبه بدلاً من التعامل مع الأفكار أو الحجج المقدمة، وهكذا، يعتمد الشاعر على مغالطة الشخصنة لصرف الانتباه عن الموضوع الأساسي وتحويل النقد إلى هجوم شخصي يركز على عيوب الناقد بدلاً من محتوى النقد.

حيث كانت المقدمات والنتائج حجاجا يدافع فيه الإلبيري عن نفسه ويثبت به سوء أخلاق أبي بكر، ولم يكن حجاجا غرضه حمله على فعل أمر أو تركه كما في باقي أبيات القصيدة.

وقد يستخدم الشاعر مغالطة الشخصنة بشكل غير تقليدي، حين يعترف بعيوبه بدلاً من إنكارها، ولكنه يوجه اللوم إلى الشخص

21 الديوان، ص ٣١

أَبا بَكرٍ كَشَفتَ أَقَلَّ عَيبي وَأَكثَرَهُ وَمُعظَمَهُ سَتَرتا
فَقُل ما شِئتَ فيَّ مِنَ المِخازي وَضاعِفها فَإِنَّكَ قَد صَدَقتا[23]

إن أبا بكر قد كشف عن جزء من عيوبه بينما ستر الجزء الأكبر منها، ويعتمد الشاعر هنا على الاعتراف ببعض العيوب، ولكنه في الوقت نفسه يهاجم الشخص الذي قام بكشفها، مما يمثل شكلاً من أشكال الشخصنة.

يستمر الشاعر في قوله لأبي بكر بأن يقول ما يشاء من مخازٍ، ويضاعفها، لأنه صادق في قوله، ولكن من خلال هذا الاعتراف، يعتمد الشاعر على تقويض قيمة النقد بتأكيد أن أبا بكر لم يخطئ، بل هو على حق، مما يشير ضمنيًا إلى أن كشف العيوب ليس أمرًا يستحق الشكر أو التقدير. بهذا الأسلوب، يهاجم الشاعر أبا بكر بشكل غير مباشر عن طريق الاعتراف بما قاله، مما يضعف قوة النقد الموجه إليه ويصرف الانتباه عن محتوى النقد الفعلي إلى شخصية الناقد نفسه.

بهذه الطريقة، يركز الشاعر على شخصية المنصوح وسلوكياته بشكل شخصي بدلاً من مناقشة النصائح أو محتوى العتاب، مما يجعل النقد مبنيًا على الهجوم الشخصي ويصرف الانتباه عن النصائح الفعلية.

وكانت النتيجة من خلال الأبيات السابقة هي أن الإلبيري قد سمح لأبي بكر بأن يهجوه حيث أنه يعرف نفسه بشكل جيد، بل وأنه أقر بتلك الذنوب التي يرتكبها ولم ينكرها أو ينفيها.

2. مغالطة التعميم المفرط

مغالطة التعميم المفرط تحدث عندما يتم تعميم تجربة أو حالة خاصة على الجميع من غير وجود أدلة كافية لدعم هذا التعميم. هذا النوع من المغالطات يقود إلى استنتاجات غير دقيقة لأن التعميم لا يأخذ في الاعتبار التنوع والاختلافات بين الحالات الفردية.[24]

استخدم الشاعر مغالطة التعميم المفرط من خلال افتراض نتائج واسعة النطاق بناءً على أدلة محدودة أو غير كافية، حيث يعمم الشاعر فكرة معينة ويجعلها تنطبق على جميع الحالات من غير اعتبار للفروق الفردية أو العوامل المتنوعة، ويظهر ذلك في نماذج عدة من التائية، أبرزها:

إِلى عِلمٍ تَكونُ بِهِ إِماماً مُطاعاً إِن نَهَيتَ وَإِن أَمَرتا [25]

ففي هذا البيت، اعتمد الشاعر على مغالطة التعميم المفرط من خلال افتراض أن اكتساب العلم يجعل الشخص إمامًا مطاعًا في كل الأحوال، سواء في النهي أو الأمر، واعتمد الشاعر على تعميم فكرة أن العلم وحده يكفي ليعطي صاحبه سلطة مطلقة على الآخرين، من غير الأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى التي قد تؤثر في قدرة الشخص على القيادة أو تأثيره في المجتمع. يقوم الشاعر بتقديم هذا التعميم وكأنه حقيقة ثابتة، مما يؤدي إلى استنتاج غير دقيق بأن كل من يملك العلم سيصبح بالضرورة إمامًا مطاعًا، وهو تعميم مفرط لا يستند إلى دليل كافٍ يشمل جميع الحالات الممكنة، مما يجعل هذا التعميم غير دقيق وقائم على افتراضات مبسطة.

وعلى الرغم من المغالطة الحجاجية الموجودة في البيت السابق إلا أنه يعد من أقوى الحجج المذكورة في القصيدة، حيث أنها أكثرها تأثيراً وأقربها مماثلة للنتيجة في المعطيات، حيث جاءت فوائد العلم كنتائج تترتب عن أسلوبي الشرط الواردين في البيت إذا تتشكل سلسلة حجاجية في خطاب الإلبيري نتجت عن تعلق المقدمات بالنتائج والتي بوصفها مقدمات أيضا تتعلق بدورها بنتائج أخرى، إن هذا الربط الذي يتم بواسطة آليات التعليق كالرابط السببي لأن، والوصل السببي، والتركيب الشرطي، هو ما يعرف بالحجة التداولة عند بيرلمان.

---

23 الديوان، ص ٣٣

24 عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مؤسسة هنداوي، 2019م، ص65/44.

أما في البيت التالي فقد اعتمد الإلبيري على مغالطة التعميم المفرط من خلال افتراض أن الجاهل لا قيمة له في المجتمع مهما كانت سلطته أو ثروته، يقول الشاعر إنه حتى لو مُنح الجاهل مُلك العراق، فلن يكون له معنى أو قيمة بين الناس.

وَلَيسَ لِجاهِلٍ في الناسِ مَعنىً وَلَو مُلكُ العِراقِ لَهُ تَأَتّى [26]

وقد جاء اسم الفاعل "جاهل" كحجة تقوم بدحض تعظيم شأن المال وليس العلم، أي أن المال ليس مدعاة للفرح لأن الجاهل ليس له قيمة "لو ملك العراق له تأتى" وقد خص العراق بالذكر حيث أنها في ذلك الوقت كانت من أجمل البلدان وأكثرهم خيراً، لما فيها مما لذ وطاب، غير أن كل هذا لن يمكنه من تعويض جهله وافتقاره للعلم.

اعتمد الشاعر هنا على تعميم مفرط بأن الجهل يؤدي دائمًا إلى عدم وجود قيمة للشخص، بغض النظر عن سلطته أو ممتلكاته، وهذا التعميم يتجاهل الحالات التي قد يتمكن فيها شخص جاهل من تحقيق تأثير أو قيمة في المجتمع بطرق أخرى. الشاعر يعمم هذه الفكرة ويجعلها تنطبق على جميع الجهال من غير اعتبار لأي استثناءات، مما يجعل هذا التعميم غير دقيق ويستند إلى افتراضات غير كافية.

وأحيانا نرى الإلبيري يفترض أن أي شخص يضحك مع السفهاء سيتعرض للبكاء لاحقًا:

وَلا تَضحَك مَعَ السُفَهاءِ لَهواً فَإِنَّكَ سَوفَ تَبكي إِن ضَحِكتا

وَكَيفَ لَكَ السُرورُ وَأَنتَ رَهنٌ وَلا تَدري أَتُفدى أَم غَلِقتا [27]

وفي البيت السابق عمد الإلبيري إلى النهي عن الجلوس مع السفهاء، وكانت حجته في هذا النهي عاقبة ذلك الفعل في الحياة الدنيا من خلال "فإنك سوف تبكي إن ضحكتا"، فإن الندم هو النهاية الحتمية لمن يفرط في دينه.

هذا التعميم يستند إلى فرضية غير مدعومة بأدلة كافية تفيد بأن كل من يشارك السفهاء في اللهو والضحك سينتهي به الأمر إلى مواجهة عواقب سلبية، كما يفترض الشاعر أن نتيجة واحدة مترتبة على سلوك معين هي قاعدة عامة تنطبق على جميع الحالات، متجاهلاً التنوع الكبير في الظروف والسياقات التي قد تؤدي إلى نتائج مختلفة، ويضع الشاعر هذا التعميم وكأنه قانون حتمي من غير تقديم أي دليل أو استثناءات، مما يجعله استنتاجًا مبنيًا على افتراضات غير موضوعية.

وفي البيت الثاني، يواصل الشاعر هذا التعميم من خلال الربط بين حالة الشخص الذي يضحك مع السفهاء وحالته اللاحقة كرهينة لمصيره، والذي لا يعرف ما إذا كان سيفدى أم سيبقى مقيدًا، وهذا الربط بين الضحك مع السفهاء والمصير المجهول يمثل مرة أخرى تعميمًا مفرطًا حيث يفترض الشاعر أن اللهو مع السفهاء ليس فقط يقود إلى البكاء، بل يجعلك رهنًا لمصير غير معروف؛ وبذلك يعزز الشاعر فكرة أن السلوك السيئ دائمًا ما يؤدي إلى نتائج كارثية، مع تجاهل للعديد من العوامل والمتغيرات التي قد تؤثر في النهاية على المصير، مما يجعل هذا التعميم غير دقيق وغير منطقي.

أو يفترض أن عدم الاستجابة لنداء الكتاب والمشيب يؤدي بالضرورة إلى القبح والسوء في التصرف:

وَناداكَ الكِتابُ فَلَم تُجِبهُ وَنَهنَهَكَ المِشيبُ فَما اِنتَبَهتا

لَيَقبُحُ بِالفَتى فِعلُ التَصابي وَأَقبَحُ مِنهُ شَيخٌ قَد تَفَتّى [28]

فالشاعر هنا يعمم فكرة أن كل من يرفض الاستجابة لتحذيرات الكتاب (القرآن) والمشيب (الشيخوخة) سيقع في سلوك مشين، مما يجعل من تصرفاته قبيحة في نظر المجتمع. هذا التعميم يعتمد على فكرة أن جميع الأفراد الذين يتجاهلون هذه النداءات سيتصرفون بشكل غير لائق، وهو تعميم يتجاهل التنوع في ردود الفعل والظروف التي قد تؤثر في سلوك الفرد.

---

[26] الديوان، ص ٢٧

[27] الديوان، ص ٣٠

وفي البيت التالي، يعمق الشاعر هذا التعميم من خلال الربط بين فعل "التصابي" (أي التصرف بتهور وشبابية غير لائقة) وبين القبح، ثم يضيف أن هذا الفعل يصبح أكثر قبحًا عندما يصدر عن شيخ قد تقدم في السن، هنا يفترض الشاعر أن التصابي أمر قبيح في كل الأحوال، وأنه يصبح أشد قبحًا عندما يصدر عن شخص مسن، مما يمثل تعميمًا مفرطًا آخر، هذا التعميم يفترض أن جميع حالات التصابي هي سلبية ومرفوضة، من غير النظر إلى السياق أو الظروف التي قد تجعل من هذا السلوك مقبولاً أو حتى إيجابيًا في بعض الحالات، بهذا، يعمم الشاعر حكمه من غير اعتبار للفروق الفردية أو المواقف المتنوعة، مما يجعل من هذا الحكم غير دقيق ويستند إلى افتراضات واسعة النطاق.

وقد يلجأ الشاعر إلى مغالطة التعميم المفرط من خلال افتراض أن جميع أبناء جنسه يجب أن يُخشى منهم كما يُخشى من الوحوش الضارية، من غير اعتبار للفروق الفردية أو السياقات المختلفة، مثل قوله:

وَخَف أَبناء جِنسِكَ وَاخشَ مِنهُم كَما تَخشى الضَراغِمَ وَالسَبَنتى
وَخالِطهُم وَزايلهُم حِذارا وَكُن كالسامِرِيِّ إِذا لَمِستا
وإن جهلوا عليك فقل سلاما لعلك سوف تسلم إن فعلتا [29]

وقد أورد الإلبيري عدة مقدمات تمثلت في نصائح: خف أبنا جنسك، اخش منهم، خالطهم، زايلهم كن كالسامري قل سلاما)، ووضح أن في النهاية تكون النتيجة واحدة "سوف تسلم إن فعلتا"، وذلك لأنه في عصر ينال السلامة إلا من عصم نفسه.

ويستمر الشاعر في تعميم هذه الفكرة عندما ينصح الشخص بمخالطة الناس بحذر والانفصال عنهم تمامًا كما فعل السامري، مما يعكس رؤية مبالغ فيها للعالم والناس من حوله، حيث يتجاهل الشاعر أن العلاقات الإنسانية قد تكون مبنية على الثقة والاحترام، وليس فقط على الخوف والحذر الشديد.

3. مغالطة الاحتكام إلى السلطة

مغالطة الاحتكام إلى السلطة يحدث عندما يتم الاعتماد على قول أو رأي شخص ذو مكانة أو سلطة كحجة نهائية من غير تقديم أدلة منطقية تدعم هذا الرأي. هذه المغالطة قد تكون خادعة لأن الناس يميلون إلى الثقة في الأشخاص الذين يعتبرونهم ذوي معرفة أو سلطة، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن آرائهم صحيحة من غير دعمها بأدلة منطقية[30]، ويظهر ذلك في عدة مواضع من التائية، أبرزها قوله:

وَلا أَلهاكَ عَنهُ أَنيقُ رَوضٍ وَلا خِدرٌ بِرَبرَبِهِ كَلِفتا
فَقوتُ الروحِ أَرواحُ المِعاني وَلَيسَ بِأَن طَعِمتَ وَأَن شَرِبتا [31]

في هذا البيت، يعتمد الشاعر على مغالطة الاحتكام إلى السلطة المستمدة من الدين الإسلامي، حيث يشير إلى أن قيمة الإنسان الحقيقية تكمن في تغذية الروح بالمعاني الروحية والدينية وليس في الاستمتاع بالمظاهر الدنيوية مثل التمتع بالروض الجميل أو المأكل والمشرب، ويربط الشاعر بين هذه الفكرة وبين المفاهيم الإسلامية التي تعلي من شأن الروح والمعاني الأخلاقية على حساب الأمور المادية، مما يجعل حجته تستند إلى سلطة الدين دون تقديم أدلة منطقية إضافية لدعم هذا التصور. الشاعر بذلك يعتمد على مكانة الدين في المجتمع الإسلامي لتقديم حجته على أنها صحيحة وملزمة، مستندًا إلى السلطة الدينية كحجة نهائية في هذا السياق، فإن من يستغني بالعلم (مقدمة) لم ترض نفسه بما

---

[29] الديوان، ص ٣٤

[30] عبد الرحمن السلطان، مغالطة الاحتكام إلى سلطة، الرياض، 10 أكتوبر، 1443هـ/2021م.

وحين يحذر الشاعر (آبا بكر) من أن يكون علمه نظريًا فقط دون تطبيقه، يشير إلى أن الله سيسأله عن عمله وليس عن مجرد معرفته:

فَلا تَأمَن سُؤالَ اللهِ عَنهُ بِتَوبيخٍ عَلِمتَ فَهَل عَمِلتا

فَرَأسُ العِلمِ تَقوى اللهِ حَقّاً وَلَيسَ بِأَن يُقال لَقَد رَأَستا [32]

وعمد الإلبيري في الأبيات السابقة إلى أقل ألوان البديع فقد جاء مرة واحدة، حيث إنه أقلهم قوة حجاجيا، والسياق الذي نظم فيه الإلبيري تائيته يتطلب آليات بلاغية تكسب المقدمات والنتائج قوة حجاجية حتى يقتنع أبوبكر بطلب العلم والزهد وغيرها مما ورد في القصيدة، فإن الحصول على العلم يستلزم ضرورة العمل به وتطبيق ما به.

والشاعر يعزز هذه الفكرة بأن رأس العلم هو تقوى الله، وهو مفهوم أساسي في الدين الإسلامي، وليس مجرد الحصول على المكانة أو الشهرة بسبب العلم. الشاعر هنا يعتمد على سلطة الدين لتقديم حجته بأن التقوى هي المعيار الحقيقي للعلم، مما يجعل هذه الحجة تستند إلى مفهوم ديني دون تقديم أي حجج منطقية إضافية خارج إطار السلطة الدينية.

ونراه تارة أخرى يقدم حجة تعتمد على قيمة الفقر في حياة الإنسان المؤمن، مشيرًا إلى أن الفقر لا يمثل ضررًا طالما أن الشخص على معرفة حقيقية بالله وملتزم بطاعته، كقوله:

وَلَيسَ يَضُرُّكَ الإِقتارُ شَيئاً إِذا ما أَنتَ رَبَّكَ قَد عَرَفتا

فَما عِندَهُ لَكَ مِن جَميلٍ إِذا بِفِناءِ طاعَتِهِ أَنَختا [33]

وقد استخدم الإلبيري هنا الدين كسلطة لتأكيد أن السعادة والرضا لا تعتمد على الغنى المادي، بل على العلاقة الروحية مع الله. هذه الفكرة تجد جذورها في النصوص الإسلامية التي تحث على القناعة والزهد، حيث يُعتبر الفقر في سبيل الله نعمة وليس نقمة، وهو ما يعزز حجج الشاعر ويجعلها تبدو مقنعة دون الحاجة إلى مزيد من التبرير المنطقي، فقد وضح الشاعر أن معرفة الله هي المقدمة، والنتيجة تكون (ليس يضرك الاقتار)، في حالة كونك مؤمنا بالله تعالى فلن يضرك فقر.

علاوة على ذلك، يشير الشاعر إلى أن الجميل والنعمة التي يمكن أن ينالها الإنسان تأتي من باب الطاعة والإخلاص لله، وليس من خلال وسائل دنيوية. هنا، يتجلى الاعتماد على السلطة الدينية بشكل واضح، حيث يتم استخدام العقيدة الإسلامية لتوجيه القارئ نحو قناعة معينة بأن الطاعة والإخلاص هما السبيل الوحيد لتحقيق الرضا والنعمة الإلهية. هذا الاعتماد على سلطة الدين دون تقديم أي حجج منطقية أخرى يعزز من تأثير هذه المغالطة، حيث يكتفي الشاعر بالإشارة إلى التعاليم الدينية لإثبات صحة كلامه دون مناقشة الجوانب الأخرى المحتملة للموضوع.

ونلحظ أن الشاعر في البيت السابق ينتقد من يتجاهل نداء القرآن الكريم وتحذيرات المشيب (الشيخوخة)، حيث يعتمد على فكرة "الاحتكام إلى السلطة" المستمدة من الدين الإسلامي ليعزز حجته حول أهمية الاستجابة لهذه النداءات، كقوله:

وَناداكَ الكِتابُ فَلَم تُجِبهُ وَنَهنَهَكَ المَشيبُ فَما اِنتَبَهتا [34]

فالقرآن الكريم يمثل السلطة الدينية العظمى التي يجب أن يتبعها المؤمن، والمشيب يمثل علامة من علامات الله على اقتراب الأجل، وهو تنبيه بضرورة الاستعداد للآخرة. الشاعر هنا يؤكد أن تجاهل هذه النداءات هو فعل يستحق اللوم، ويستخدم هذا النقد لتبيان خطورة الاستمرار في الغفلة وعدم الاهتمام بالرسائل الروحية التي تبعثها الحياة، حيث زادت قوة الحجة وبلغت ذروتها بعد ذكره لآخر حجة وهي غفلة أبو بكر حتى في الشيخوخة، وصارت تلك الحجة حجة قوية لما يتبعها من حجج تدعمها.

---

32 الديوان، ص ٢٦

33 الديوان، ص ٢٨

علاوه على ذلك، لا يقدم الشاعر حججا منطقية اخرى تدعم موقفه، بل يعتمد بشكل كامل على السلطة الدينية للقرآن الكريم والمشيب. هذه السلطة تفرض على القارئ أو المستمع قبول حجته دون نقاش، حيث يُفترض أن تكون قوة هذه السلطة كافية لإقناع أي إنسان بضرورة اتباع ما يدعو إليه الشاعر. هذا يجعل الحجة تبدو أكثر قوة وتأثيرًا لأنها مستمدة من مصادر دينية مقدسة ومعترف بها، مما يؤدي إلى تقليل الحاجة إلى مناقشة أي جوانب أخرى أو تقديم أي تبريرات إضافية.

وقد يوجه الشاعر النقد واللوم للشخص المخاطب، ويبدأ بالإشارة إلى أن الشخص عبدٌ لله، وقد أمر بالطاعة والامتثال لأوامر الله، لكنه لم يفعل ذلك.

وَمَن لَكَ بِالأَمانِ وَأَنتَ عَبدٌ ... أُمِرتَ فَما اِئتَمَرتَ وَلا أَطَعتا

ثَقُلتَ مِنَ الذُنوبِ وَلَستَ تَخشى ... لِجَهلِكَ أَن تَخِفَّ إِذا وُزِنتا

وَتُشفِقُ لِلمُصِرِّ عَلى المَعاصي ... وَتَرحَمُهُ وَنَفسَكَ ما رَحِمتا [35]

وضح الشاعر في الأبيات السابقة أنه حتى إذا ندم أبو بكر وأعترف بذنبه فإن الإلبيري لن يطمئنه ترهيبا وحرصا منه أن لا يأمن على نفسه من العذاب، ويتجرأ على المعصية مرة أخرى، وقد عزز هذا الأسلوب من حجة الشاعر من خلال الاعتماد على السلطة الدينية التي تحتم على العبد أن يطيع أوامر الله، وهو ما يُعتبر أمرًا بديهيًا في العقيدة الإسلامية، ويستمر الشاعر في تصوير الشخص بأنه مثقل بالذنوب ومع ذلك لا يخشى أن تكون هذه الذنوب هي التي ستثقل ميزانه يوم القيامة، وهو تحذير مستمد من المفاهيم الدينية حول الحساب والجزاء. يعتمد الشاعر هنا على سلطة الدين ليجعل من الذنوب مسألة خطيرة تستدعي القلق والخوف، وهو ما يعزز حجته بضرورة الامتثال لأوامر الله والابتعاد عن المعاصي.

وفي نهاية المقطع، يشير الشاعر إلى أن الشخص يظهر شفقة على من يصر على المعاصي ويرحمه، ولكنه لا يرحم نفسه من العقاب الإلهي المنتظر. هذا التناقض يسلط الضوء على جهل الشخص بحقيقة موقفه الديني، فالشاعر هنا لا يقدم حججًا منطقية، بل يعتمد بشكل كامل على السلطة الدينية والتعاليم الإسلامية لإثبات صحة موقفه وإظهار خطأ الشخص الآخر في عدم الامتثال لأوامر الله وعدم الخوف من العقاب.

لقد استند الشاعر إلى قوة الدين كمرجع لتأكيد حجته في مواضع عدة من المنظومة، مبرزا لصعوبة الحساب يوم القيامة، حتى لو أتى الشخص دون ذنب ظاهر، ويشير إلى أن مجرد مناقشة الحساب من قبل الله يمكن أن تؤدي إلى الهلاك، مما يعزز فكرة أن الحساب أمر عسير لا يمكن التهاون فيه.

وَلَو وافَيتَ رَبَّكَ دونَ ذَنبٍ ... وَناقَشَكَ الحِسابَ إِذاً هَلَكتا

وَلَم يَظلُمكَ في عَمَلٍ وَلَكِن ... عَسيرٌ أَن تَقومَ بِما حَمَلتا

وَلَو قَد جِئتَ يَومَ الفَصلِ فَرداً ... وَأَبصَرتَ المَنازِلَ فيهِ شَتّى [36]

وقد وضح الشاعر حال الغافل بشكل عام وأبا بكر بشكل خاص في يوم القيامة، من خلال حقائق واقعية ولا يوجد منها مفر، وعلى الرغم من كون الأبيات السابقة قد تضمنت على مقدمات ونتائج:

(لو وافيت ربك دون ذنب + ناقشك الحساب) = إذا هلكتا

لو قد جئت يوم الفصل (فردا) + أبصرت المنازل فيه شتى) = لأعظمت الندامة

غير أنها تعد الإجمال الناتج لما قد سبقها من الأبيات التي كانت مقدمات تبين غفلة أبا بكر : ولو جئت يوم الفصل فردا وأبصرت المنازل فيه شتى .. ثقلت من الذنوب ... تشفق للمصر على المعاصي.

ويستمر في توضيح أن الله لن يظلم الإنسان في عمله، ولكن الصعوبة تكمن في القدرة على تحمل عبء ما قدمه من أعمال. ويعتمد

---

[35] الديوان، ص ٣٢

[36] الديوان، ص ٣٢

بشكل كبير على المفاهيم الدينية حول يوم القيامة والحساب، ويجعل من فكرة عدم القدرة على تحمل الحساب حجة لتأجيل أهمية التوبة والاستعداد للآخرة.

4. مغالطة العلاقة السببية الزائفة

مغالطة العلاقة السببية الزائفة تحدث عندما يتم افتراض أن حدثًا معينًا هو السبب المباشر لحدث آخر من غير وجود دليل كافٍ يدعم هذا الربط. هذا النوع من المغالطات يمكن أن يؤدي إلى استنتاجات خاطئة حول الأسباب الحقيقية للأحداث، حيث يتم تجاهل العوامل الأخرى التي قد تكون ذات صلة.[37]

في "تائية الإلبيري"، يستخدم الشاعر مغالطة "العلاقة السببية الزائفة" عندما يفترض أن بعض الظواهر أو الأحداث ترتبط بشكل مباشر بتصرفات الإنسان أو قراراته، معتمدًا على استنتاجات تستند إلى ترابط زمني أو ظرفي من غير وجود دليل منطقي يثبت أن أحدهما هو السبب في الآخر. الشاعر يعزز هذه العلاقة الزائفة من خلال إضفاء طابع منطقي عليها، مما قد يوحي للقارئ بأن هناك سببية حقيقية بين هذه الأحداث، مع عدم وجود ارتباط فعلي يمكن إثباته، ومن النماذج على ذلك نورد ما يلي:

تَنامُ الدَهرَ وَيحَكَ في غَطيطٍ بِها حَتّى إِذا مِتَّ اِنتَبَهنا
فَكَم ذا أَنتَ مَخدوعٌ وَحَتّى مَتى لا تَرعَوي عَنها وَحَتّى [38]

ففي البيت الأول جاءت (المقدمة) تناسي سبب وجود الإنسان، وهو العبادة والاستعداد للآخرة، عاقبته وخيمة وهي الموت في غفلة (نتيجة).

وفي البيت الثاني أتى الإلبيري باسم الفاعل ليصف حال أبي بكر وأنه تم خداعه، لكنه أمر غير دائم فمتى أراد التوبة وأعرض عن الدنيا زال عنه ما وقع عليه من خداع، حيث أن أبو بكر إنسان غافل لاه ولا يُعرف وقت لتوبته.

في هذا المقطع، يرتكب الشاعر مغالطة "العلاقة السببية الزائفة" من خلال الربط بين النوم والغفلة عن الدنيا وبين الاستيقاظ والوعي بالموت، الشاعر يوحي بأن الإنسان يظل في حالة غفلة تامة طوال حياته، ولا يدرك حقيقة الأمور إلا عند موته، مما يفترض أن الموت بحد ذاته هو السبب الذي يؤدي إلى الوعي الكامل بالحياة، هذا الربط بين النوم كغفلة والاستيقاظ كموت يعتمد على علاقة زمنية وليست سببية حقيقية، حيث يفترض الشاعر أن الاستيقاظ بعد الموت يكشف الحقيقة بشكل مؤكد، وهو استنتاج مبني على تصور غير منطقي للعلاقة بين الحياة والموت.

كما أن الشاعر يبني نتيجة الخداع على افتراض أن أبا بكر كان في غفلة طوال حياته، وأنه سيبقى في هذه الغفلة حتى يموت. الشاعر يوحي بأن هذه الغفلة هي السبب المباشر في استمرار الخداع، وأن أبا بكر لن يدرك حقيقة الأمور إلا بعد الموت، هذا الربط بين الغفلة والموت كشرط للاستيقاظ والوعي بالخداع يعتمد على استنتاج غير منطقي، حيث يفترض الشاعر أن الغفلة ستستمر بشكل حتمي حتى نهاية الحياة من غير تقديم دليل يثبت أن الموت هو الوسيلة الوحيدة لإنهاء هذه الغفلة والخداع.

وفي هذا مقطع آخر، يستخدم الشاعر مغالطة "العلاقة السببية الزائفة" من خلال افتراض أن تذوق حلاوة العلم سيؤدي بالضرورة إلى اجتهاد الإنسان في طلبه، وانصرافه عن الهوى والدنيا وزخارفها:

فَلَو قَد ذُقتَ مِن حَلواهُ طَعماً لَآثَرتَ التَعَلُّمَ وَاِجتَهَدتا
وَلَم يَشغَلكَ عَنهُ هَوى مُطاعٌ وَلا دُنيا بِزُخرُفِها فُتِنتا

[37] د. سهام النويهي، التفكير الناقد، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، د.ت، ص85/86.

فوضح الإلبيري من خلال الحجج في الأبيات السابقة أنه من استغنى بالعلم (مقدمة) لم ترض نفسه بما [illegible] ولم يسد جوع روحه إلا العلم (نتيجة).

يوحي الشاعر هنا بأن مجرد تذوق حلاوة العلم يكفي ليجعل الشخص يفضل التعلم ويجتهد فيه، ويتجنب كل ما قد يشغله عن هذا الهدف. هذا الربط يعتمد على استنتاج غير منطقي، حيث يفترض الشاعر أن هناك علاقة سببية مباشرة بين تذوق حلاوة العلم والانصراف عن ملذات الدنيا، من غير تقديم دليل يثبت أن جميع الأشخاص الذين يتذوقون العلم سيتركون حتماً الدنيا وشهواتها. هنا، يبني الشاعر نتيجة سلوكية على تجربة واحدة أو شعور مؤقت، مما يجعل هذا الاستنتاج غير دقيق لأنه يغفل العوامل الأخرى التي قد تؤثر في قرارات الإنسان.

ويطرح الشاعر كذلك فكرة أن العلم والفهم قد يكونان في بعض الأحيان ضارين أكثر من كونهما نافعَين، مشيرًا إلى أن العلم الذي لا يجلب الخير لصاحبه يكون الجهل أفضل منه، ويتمثل ذلك في قوله:

إِذا ما لَم يُفِدكَ العِلمُ خَيراً ... فَخَيرٌ مِنهُ أَن لَو قَد جَهِلتا

وَإِن أَلقاكَ فَهمُكَ في مَهاوٍ ... فَلَيتَكَ ثُمَّ لَيتَكَ ما فَهِمتا

سَتَجني مِن ثِمارِ العَجزِ جَهلاً ... وَتَصغُرُ في العُيونِ إِذا كَبُرتا

وَتُفقَدُ إِن جَهِلتَ وَأَنتَ باقٍ ... وَتوجَدُ إِن عَلِمتَ وَقَد فُقِدتا

وَتَذكُرُ قَولَتي لَكَ بَعدَ حينٍ ... وَتَغبِطُها إِذا عَنها شُغِلتا

لَسَوفَ تَعَضُّ مِن نَدَمٍ عَلَيها ... وَما تُغني النَدامَةُ إِن نَدِمتا

إِذا أَبصَرتَ صَحبَكَ في سَماءٍ ... قَد اِرتَفَعوا عَلَيكَ وَقَد سَفَلتا [40]

وكرد فعل لانتشار المجون والزندقة بالأندلس ظهر الزهد، وحتى يكون الإنسان زاهدا كان عليه في المقام الأول أن يكون عالما لأن العلم يهدي إلى التوبة والتوبة باب الزهد، فإن كان جاهلا لم يتب، ولن يزهد، لأن الجهل طامة كبرى، فبدل التوبة، يزيد الجاهل في معصيته ويطغى فيها، وبدل الزهد تجده يقبل على الدنيا بكل ما فيها فيغفل عن الاستعداد للموت، ويجعل المال فوق العلم، لأنه انتكس وقلبت لديه الموازين.

وقد بيّن الإلبيري من خلال الأبيات السابقة أن الفهم الخاطئ هو سبب لنتيجة هي "الهاوية" ويقصد بها "الجهل" وهذه النتيجة هي سبب لنتيجة أخرى جني ثمار هذا الجهل، وهي نتائج مترتبة عن الجهل تصغر في العيون وأنت باق، وهي أيضا سبب لنتيجة بعدها لسوف تعض من ندم، حيث أن تفقد السياق يقتضي هذا التسلسل الحجاجي حتى يقتنع المتلقي بضرورة طلب العلم.

حيث وردت (ليتك) لأولى واضحة الدلالة في تمني عدم الفهم، الفهم الذي يلقى بصاحبه في الهاوية، لكن وردت (ليتك) الثانية لتؤكد ما جاءت بها لأولى، وتوصل احساس الحسرة إلى المتلقي حتى تحمله على الاقتناع بأن العلم هو تقوى الله وما دون ذلك من علم ليس الغرض منه تقوى الله فهو مهلك صاحبه لا محالة.

وقد أفترض الشاعر أن الفهم قد يقود الإنسان إلى مواقف خطيرة أو مهالك، مما يشير إلى أن عدم الفهم قد يكون خيارًا أكثر أمانًا. هذا الربط بين الفهم والضرر يعتمد على مغالطة "العلاقة السببية الزائفة"، حيث يفترض الشاعر أن هناك علاقة سببية حتمية بين امتلاك الفهم والوقوع في المشاكل، من غير تقديم دليل فعلي يثبت أن الفهم بالضرورة يقود إلى هذه النتائج السلبية.

الشاعر يعمق هذه الفكرة من خلال الإشارة إلى أن الجهل قد يجلب ثمارًا، مثل السلامة من الأذى أو الندم، بينما الفهم قد يجعل

39 الديوان، ص ٢٦

الإنسان يبدو أقل ذكاء في أعين الآخرين، حتى لو كان عليما من حيث معرفته. هنا، يربط الشاعر بين الفهم والندم في المستقبل، بأن الشخص الذي يمتلك العلم، ولكنه لم يستفد منه قد يشعر بالندم لاحقًا عندما يرى أقرانه يتفوقون عليه، هذا الربط بين الفهم والندم هو أيضًا نوع من المغالطة السببية، حيث يفترض الشاعر أن العلم والفهم قد يؤديان دائمًا إلى عواقب سلبية، من غير النظر إلى الاحتمالات الإيجابية التي قد تنجم عن امتلاك المعرفة.

وقد ارتكب الشاعر مغالطة "العلاقة السببية الزائفة" من خلال افتراض أن كشف أبي بكر لبعض العيوب يعني بالضرورة أن العيوب الأكبر قد بقيت مستورة، وذلك في قوله:

أَبا بَكرٍ كَشَفتَ أَقَلَّ عَيبي وَأَكثَرَهُ وَمُعظَمَهُ سَتَرتا [41]

ومن هنا جاءت النتيجة وهي أن الإلبيري سمح لأبا بكر بأن يهجوه وذلك لمعرفته الجيدة به وإقراره بذنوبه، وقد لمح الشاعر هنا إلى وجود علاقة سببية بين إظهار العيوب الصغيرة وستر العيوب الكبرى، موحيًا بأن كشف جزء من العيوب يؤدي إلى إخفاء الجزء الأكبر منها. هذا الافتراض يعكس منطقًا زائفًا، حيث يعتمد على ترابط غير مسوغ بين الكشف والستر، من غير تقديم دليل على أن كشف بعض العيوب يتطلب بالضرورة إخفاء عيوب أخرى.

5. مغالطة المناشدة إلى العواطف

مغالطة المناشدة إلى العواطف تحدث عندما يتم استخدام العواطف وسيلةً لإقناع الناس بدلًا من تقديم حجج منطقية هذه المغالطة تعتمد على إثارة مشاعر مثل الخوف أو الغضب أو الشفقة لدفع الجمهور إلى قبول حجة ما أو اتخاذ قرار معين، بينما يمكن أن تكون هذه الأساليب فعالة على المدى القصير، فإنها تفتقر إلى الأسس المنطقية التي تجعل الحجج قوية ومقنعة.[42]

وأخيرا، يلجأ الشاعر إلى مغالطة مناشدة العواطف بهدف التأثير في مشاعر القارئ وإثارة استجابته العاطفية بدلاً من تقديم حجج منطقية، يعتمد الإلبيري على صور مؤثرة وكلمات تحرك مشاعر الخوف، والتوبة، والندم، مستخدمًا هذه العواطف لتوجيه الرسائل الأخلاقية والدينية في منظومته، من خلال التركيز على التأثير العاطفي، يسعى الشاعر إلى تعزيز حججه وجعلها أكثر إقناعًا لدى المتلقي، حتى وإن كانت هذه الحجج تفتقر إلى الأساس المنطقي الصارم، وإليك النموذج التالي:

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأَيّامُ فَتّا وَتَنحِتُ جِسمَكَ الساعاتُ نَحتا

وَتَدعوكَ المَنونُ دُعاءَ صِدقٍ أَلا يا صاحِ أَنتَ أُريدُ أَنتا [43]

وفي الأبيات السابقة خلق الشاعر سلما حجاجيا خاصا به بناء على قصده من الكلام، حيث يمكنه أن يسوق أدلة تختلف في قوتها وصدقها وخدمتها للهدف المنشود من الحجاج، وقد يراعي في ترتيبها غرضا بلاغيا محددا أو موقفا خاصا، أو سياق المحادثة بين الأطراف، حيث أن قصد المتكلم هو المعيار في تصنيف الحجج من القوية إلى الأقل قوية كلما دلت أكثر على قصد المتكلم كلما زادت قوتها، رغم ورودها بشكل مختلف في الترتيب أثناء المحاججة، ومهما طالت الساعات الأيام فإن الموت هو النهاية الحتمية، وأن كل شخص له وقت محدد له وحده دون غيره.

يصور الإلبيري هنا قسوة مرور الوقت واقتراب الموت الحتمي، كما يصور الأيام وهي تفتك بالقلب، والساعات وهي تنحت الجسد، مما يثير مشاعر القلق والرهبة لدى القارئ، ويزيد من قوة التأثير العاطفي من خلال تجسيد الموت وهو ينادي بصوت صادق ومباشر على المخاطب، مما يجعل القارئ يشعر بأهمية الاستجابة لهذا النداء، عبر التركيز على هذه المؤثرات العاطفية، يسعى الشاعر إلى دفع القارئ للتفكير في فناء الحياة وضرورة الاستعداد الروحي، بدلاً من الاعتماد فقط على الحجة المنطقية.

---

41 الديوان، ص ٣٣

42 Damer T. Attacking faulty reasoning. 6th ed. Belmont: Wadsworth, Cengage Learning; 2008. p. 200-201.

ويعتمد الإلبيري بشكل كبير على توجيه رسالة قوية حول عبثية التعلق بالدنيا، قائلا:

سُجِنتَ بِها وَأَنتَ لَها مُحِبٌّ ... فَكَيفَ تُحِبُّ ما فيهِ سُجِنتا
وَتُطعِمُكَ الطَعامَ وَعَن قَريبٍ ... سَتَطعَمُ مِنكَ ما مِنها طَعِمتا
وَتَعرى إِن لَبِستَ لَها ثِياباً ... وَتُكسى إِن مَلابِسَها خَلَعتا
وَتَشهَدُ كُلَّ يَومٍ دَفنَ خِلٍّ ... كَأَنَّكَ لا تُرادُ بِما شَهِدتا
وَلَم تُخلَق لِتَعمُرها وَلَكِن ... لِتَعبُرَها فَجِدَّ لِما خُلِقتا [44]

بدأ الشاعر أبياته بكناية عن نسبة الموصوف أي أنه ذكر الصفة والموصوف ثم ذكر الدليل على اختصاص الصفة بالموصوف، حيث أن من يحب الدنيا مسجون فها حتما وهي صفة تنطلق عليه دون غيره، فإن حب الدنيا يجعل الإنسان مقيدا بها.

وفي البيت الرابع (وتشهد كل يوم...) كناية عن صفة وهي التغافل عن موعظة الموت، ومن هنا نجد أن الكناية زادت الخطاب الحجاجي قوة وتأثيرا وذلك لأنها تأتي بالمعنى مصحوبا بالدليل في إنجاز وجسيم، حيث المتلقي بالمعنى الذي تضمنته الحجة حيث أنه مدعم بالحجة وهو ما يجيب على أي سؤال لديه، ويزيد قوة الأثر للخطاب الحجاجي في نفسه.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الشاعر يصور الدنيا سجنا محببا للإنسان، متسائلاً كيف يمكن للشخص أن يحب ما يقيده ويحد من حريته، مما يثير مشاعر الحيرة والأسى لدى القارئ، يستمر الشاعر في تعزيز هذا الشعور من خلال الإشارة إلى التناقضات التي تواجه الإنسان في الدنيا، مثل الأكل الذي ينتهي بأن تأكل منه الأرض، واللباس الذي يخلعه الإنسان ليُكسا بالكفن عند موته. هذه الصور الحسية القوية تثير مشاعر الخوف والقلق من النهاية الحتمية التي تنتظر الجميع.

ثم ينتقل الشاعر إلى تعميق الأثر العاطفي من خلال تذكير القارئ بالمشاهد اليومية لدفن الأصدقاء والمعارف، محاولًا إيقاظ الوعي بأن الموت مصير محتوم لكل إنسان، هذه المشاهد المؤلمة تُستخدم لتوجيه رسالة واضحة بأن الحياة ليست دار إقامة بل ممر عبور نحو الآخرة، مما يحث القارئ على التركيز على الهدف الأسمى الذي خُلق من أجله، وهو الاستعداد للآخرة، الإلبيري يعتمد هنا على إثارة مشاعر الحزن والخوف من الفناء، ليقنع القارئ بأهمية ترك الدنيا والعمل للآخرة، من غير تقديم حجج منطقية، بل عبر التأثير القوي في العواطف.

ويلجأ الإلبيري إلى استخدام صور مؤثرة أخرى، تهدف إلى إثارة الخوف والحزن في نفس القارئ، فيبدأ بتحذير القارئ من التهاون بفترة الصبا والشباب، مشيرًا إلى أن العمر ليس ضمانًا للبقاء، ومذكرًا بأن الكثير من الصغار قد دفنوا قبل أن يكبروا، كقوله:

وَلا تَقُل الصِبا فيهِ مَجالٌ ... وَفَكِّر كَم صَغيرٍ قَد دَفَنتا
وَقُل لي يا نَصيحُ لَأَنتَ أَولى ... بِنُصحِكَ لَو بِعَقلِكَ قَد نَظَرتا [45]

وفي الأبيات السابقة رد الإلبيري على هجاء أبي بكر، حيث قام بذم أبا بكر وذكر سوء حاله وغفلته إجمالا، فإن هذه الصورة القاسية للموت في سن مبكرة تهدف إلى تحريك مشاعر القارئ وإقناعه بأن عليه ألا يستغل فترة الشباب في اللهو، بل يجب أن يكون واعيًا لمحدودية الحياة، الشاعر يستخدم هذا التأثير العاطفي القوي ليخلق شعورًا بالاستعجال والحاجة إلى التفكير الجاد في كيفية استغلال الحياة.

ثم يستمر الشاعر في تعزيز هذه المشاعر من خلال توجيه نصيحة مباشرة للمنصوح، مشيرًا إلى أن الشخص الذي يقدم النصيحة ينبغي أن يكون أولى بالعمل بها إذا نظر إلى الأمور بعقلانية، هنا، يعتمد الإلبيري على التوبيخ العاطفي، موحيًا بأن من يتهاون في اتباع النصيحة سيتعرض لنفس المصير المحزن الذي حذر منه، الشاعر يثير في القارئ شعورًا بالذنب والندم المحتمل إذا لم يأخذ النصيحة بجدية، مما يعزز التأثير العاطفي للنص على حساب الحجة المنطقية، ويحث القارئ على التفكير في عواقب التهاون قبل فوات الأوان.

ونراه أحيانا يثير مشاعر الخوف والرعب من خلال مقارنة الخوف الطبيعي من حرارة الشمس بالخوف من عذاب جهنم:

---

44 الديوان، ص ٢٩

وَلَستَ تُطيقُ أَهوَنَها عَذاباً وَلَو كُنتَ الحَديدَ بِها لَذُبتا [46]

وبين الشاعر في الأبيات السابقة ما يلي:

الملمح الأول: (الغرض أو النتيجة)، حيث يحاول الإلبيري إقناع أبي بكر بضرورة التوبة وتعجيلها، وهي مضمرة وإنما تستنتج من قبل المتلقي.

الملمح الثاني: الأثر الذي أحدثه، حيث صور الإلبيري العذاب العظيم الذي ينتظره، حتى يقذف في قلبه الرعب والخوف، وهذا الملمح الثاني قد يتحقق وقد لا يتحقق، وهو المسمى فعل الكلام عند أوستين.

وجاء الهدف من إضمار النتيجة القيام بإشراك المتلقي وجعله ينتظرها أي استمالته وجذب انتباهه ليستنتج النتيجة ويتوقعها، وهو ما يسهل اقتناعه بما طرح عليه.

فنجد أن الإلبيري قد حاول التأثير على أبي بكر فعمل على تخويفه وتحذيره، ويشجعه، لكن تحقق أثر هذه الأفعال في نفس أبي بكر أو اقتناعه بها لم يرد حتى يمكننا القول أن هذا الصنف تحقق في القصيدة.

إنه يحاول هنا أن يثير في نفس القارئ شعورًا بالذنب والتقصير، ويعمق الشاعر هذا التأثير العاطفي بتصوير عذاب جهنم كشيء لا يمكن تحمله حتى في أخف درجاته، موضحًا أن الإنسان، مهما كان قويًا، سيذوب تحت وطأتها، يعتمد الشاعر على هذه الصور المرعبة لتحفيز القارئ على التفكير بجدية في مصيره الأخروي، مستخدمًا القوة العاطفية لتحقيق تأثير قوي من غير الاعتماد على حجة منطقية.

ويرتكز الشاعر على إظهار التواضع والاعتراف بالعيوب بطريقة تبدو مفعمة بالمشاعر، مما يجعل القارئ يتعاطف مع الشاعر، ويخاطب أبا بكر بقوله إنه كشف القليل من عيوبه بينما ستر الأكثر والأعظم، ثم يدعو أبا بكر لزيادة الانتقاد وتكرار ذكر المخازي، مؤكدًا أن أبا بكر سيكون صادقًا فيما يقول.

أَبا بَكرٍ كَشَفتَ أَقَلَّ عَيبي وَأَكثَرَهُ وَمُعظَمَهُ سَتَرتا

فَقُل ما شِئتَ فيَّ مِنَ المخازي وَضاعِفها فَإِنَّكَ قَد صَدَقتا

وَمَهما عِبتَني فَلِفَرطِ عِلمي بِباطِنَتي كَأَنَّكَ قَد مَدَحتا [47]

هذا الاعتراف الظاهري بالعيوب يوحي بالتواضع الشديد، لكنه في الوقت نفسه يوظف العاطفة لتحويل النقد إلى نوع من المديح، حيث يلمح الشاعر إلى أن معرفته العميقة بعيوبه تجعله يتقبل النقد وكأنه ثناء، هذه المناشدة للعواطف تهدف إلى إثارة تعاطف القارئ وجعله يرى الشاعر بصورة إيجابية، مع الانتقادات الموجهة إليه.

لقد أثرت المغالطات الحجاجية في بنية الحجاج في "تائية الإلبيري" بطرائق متعددة، وأدت إلى إضعاف الحجة المقدمة، فعندما يعتمد الشاعر على مغالطات مثل الشخصنة أو الاحتكام إلى السلطة، يبتعد عن تقديم حجج منطقية ومتماسكة، مما يؤدي إلى ضعف الحجة وتقليل قدرتها على الإقناع، كما أن التعميم المفرط يشوه الواقع بتصوير حالات فردية على أنها تنطبق على الجميع، مما يجعل الحجة تبدو مبسطة وغير واقعية، إضافة إلى ذلك، إثارة العواطف على حساب المنطق، كما في استخدام صور مرعبة للموت أو الهرم لإثارة مشاعر الخوف، قد يكون فعالاً في تحفيز القارئ على المدى القصير، لكنه يضعف الحجة على المدى الطويل، وتقديم أسباب زائفة، مثل الربط غير المنطقي بين زوال التقوى وزوال العز والمجد، يؤدي إلى استنتاجات خاطئة وتحريف الفهم الكامل للمشكلة.

الخاتمة

يتضح لنا أن منظومة الإلبيري، مع نواياه الحسنة ومقاصده الخيرية في الدعوة إلى التمسك بعقيدة الإسلام ومبادئه، قد اعتمدت في

---

[46] الديوان، ص ٣٣

فيه شعورًا بالتقصير والضعف والجهل وقلة الإيمان، أكثر من إقناعه بالدليل العقلاني، يمكن القول إن الغرض الأساسي من المغالطة هو التأثير في سلوك المخاطب واستمالة النفوس وتوجيه العقول، وليس تقديم حجج منطقية متماسكة، وقد اتسم حجاج الإلبيري بالانفعالية والعاطفية بدلاً من العقلانية والمنطقية، وهو ما يظهر في اعتماده على مجموعة من المغالطات الحجاجية التي أضعفت من قوة حججه، ومع ذلك، يبقى الخطاب الديني، بما فيه من كلمات وتراكيب لغوية، معبرًا عن موقف ومعتقد وسلوك، وهذا لا يمنعنا من النظر النقدي في تلك المغالطات المنطقية التي ارتكز عليها الإلبيري في خطابه.

المغالطات الحجاجية في "تائية الإلبيري" تؤثر بشكل سلبي في بنية الحجاج في القصيدة، فهي تضعف الحجج، تشوه الحقائق، تثير العواطف على حساب المنطق، وتقدم أسبابًا زائفة، مما يجعل الحجة أقل إقناعًا وأقل فعالية في تحقيق أهدافها. ومع من أن هذه الأساليب قد تكون فعالة في إثارة استجابة عاطفية فورية من الجمهور، إلا أنها تقلل من قوة الرسالة الشاملة وتعرض القصيدة للنقد من منظور منطقي.

ويمكن تفسير استخدام الإلبيري لمجموعة من المغالطات الحجاجية في ضوء السياق الاجتماعي والسياسي والديني الذي عاش فيه.

فمغالطة الشخصنة، على سبيل المثال، يمكن رؤيتها كنتاج للصراع الاجتماعي والطبقي السائد في ذلك الوقت، حيث كانت هناك فجوة كبيرة بين الطبقات الاجتماعية، ما دفع الإلبيري للتعبير عن استيائه من بعض الفئات في المجتمع.

أما مغالطة التعميم المفرط، فهي تعكس شعور الشاعر باليأس من المجتمع الأندلسي في ظل الانقسامات السياسية وضعف الالتزام الديني، مما جعله يرى أن الانحرافات الأخلاقية والدينية قد شملت الجميع. في حين أن مغالطة الاحتكام إلى السلطة تعكس الاحترام الكبير الذي كان يكنه المجتمع للعلماء والشخصيات الدينية، وهو ما جعل الإلبيري يعتمد على سلطة العلماء في تعزيز حججه.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن فهم مغالطة العلاقة السببية الزائفة في سياق رغبة الشاعر في إلقاء اللوم على فقدان القيم الدينية كسبب رئيسي للمشاكل الاجتماعية والسياسية، ما يعكس النظرة التقليدية السائدة في ذلك الوقت، وأخيرًا، كانت مغالطة المناشدة إلى العواطف وسيلة فعالة في فترة كانت تعتمد بشكل كبير على التأثير العاطفي والخطاب الديني لاستمالة الجماهير، مما يفسر استخدام الإلبيري لهذا النوع من المغالطات. هذه العوامل مجتمعة تجعل "التائية" أكثر من مجرد رد فعل على انتقاد، بل تأملًا فلسفيًا وروحيًا في قضايا الحياة والموت والعلاقة بالله، مما أكسبها مكانة خاصة في الأدب الأندلسي.

نتائج الدراسة

تبين من خلال هذه الدراسة عديد من النتائج من أهمها:

1. الكشف عن استخدام الشاعر لمجموعة متعددة من المغالطات الحجاجية مثل الشخصنة، التعميم المفرط، الاحتكام إلى السلطة، والعلاقة السببية الزائفة، والتي تؤثر في منطقية الحجج المقدمة.
2. أظهرت الدراسة أن استخدام هذه المغالطات يضعف من قوة الحجج، حيث يؤدي الاعتماد على المنطق غير السليم إلى تقليل فعالية الحجج المقدمة في إقناع المتلقي.
3. تؤدي المغالطات، مثل التعميم المفرط والعلاقة السببية الزائفة إلى استنتاجات غير دقيقة حول القضايا التي يعالجها الشاعر، مما يشوه الفهم الكامل للمشاكل الاجتماعية والدينية المطروحة.
4. لوحظ أن الشاعر يعتمد بشكل كبير على إثارة العواطف من خلال استخدام صور مرعبة وتحذيرات أخلاقية، مما يجعل الحجج مؤثرة عاطفيًا ولكنها ضعيفة من الناحية المنطقية.

المصادر والمراجع:

- عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن 2001م.
- محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، التكلمة لكتاب الصلة، مكتبة الخانجي، مصر، والمثنى، بغداد، 1965م.
- أبو إسحاق الإلبيري الأندلسي، ديوان إبي إسحاق الإلبيري الأندلسي، تحقيق وشرح واستدراك: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، ط1، 1411هـ- 1991م.
- مجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، بيروت، لبنان، دار الفرابي، 2007م.
- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، د.ت.
- فيليب بروتون، وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر. محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط1، د.ت.
- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب التحاجج طبيعته، مجالاته، ووظائفه وضوابطه، تنسيق: حمو النقاري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب، ط1، 2006م.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.
- باسم خيري خضير، الحجاج وتوجيه الخطاب، دار الصفاء، عمان، الأردن، ط01 .2019م.
- حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، كلية الآداب منوبة المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط02، 2011م.
- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2007م.
- حاتم عبيد، منزلة العواطف في نظرية الحجاج، مجلة عالم الفكر، العدد 2، المجلد 40، الكويت، 2011م.
- حافظ إسماعيلي علوي ومحمد أسيداه، اللسانيات والحجاج، الحجاج المغالط، نحو مقاربة لسانية وظيفية، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، ج3، عالم الكتب الحديث ، الأردن ،2010م.
- د. محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، دار الفكر، ط1، 2000م.
- محمد بركات البيلي، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، 1993م.
- أصداء دراسات أدبية نقدية : دراسة، د. عناد غزوان، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
- طه عبد الرحمان : اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ط1، 1998م.
- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مؤسسة هنداوي، 2019م.
- د. سهام النويهي، التفكير الناقد، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، د.ت.
- عبد الرحمن السلطان، مغالطة الاحتكام إلى سلطة، الرياض، 10 أكتوبر، 1443هـ/2021م.
- Damer T. Attacking faulty reasoning. 6th ed. Belmont: Wadsworth, Cengage Learning; 2008. p. 200-201.